أَزْمَةُ الفَهْمِ

((أسبابها ، مظاهرها ، منافذ الخروج منها))

تأليف

أبي يزن حمزة بن فايع الفتحي

إمام وخطيب جامع الملك فهد بمحايل عسير

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـــالمين , وصـــلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين وبعد :

فهذه رسالة موجزة في (أزمة الفهم) كنت ألقيتها على رهط من الشباب ، في مناسبات متفرقة لعلمي بأهمية الموضوع , وخطورته , إذ لا تزال الحياة العلمية والفكرية , مكتظة بالمعارك الخلافية , وفي كل حين نقاوم وندرأ بالحجج , ونصد بالبراهين ، لكن يبقي أصناف , ليس لديهم قابلية للفهم والاقتناع, ذكرت طرفا منهم في رسالة (الصنوف) .

وتأتي هذه الرسالة إسهاماً مني في مجالات التفكير الصحيح, وترشيداً للصحوة الإسلامية ، وتثقيفاً للمسلم من الناحية العقلية ، وبناء الفكر السليم ، فإن الفهم الصحيح لم يعد معضلة جماعة أو مذهب ، بل بات معضلة أمة مترامية الأطراف ، يجب علينا جميعاً تنبيهها ، وإيقاظها ، والحرص على تنقيتها من

أنماط التفكير الهزيل والفهم السطحي لكثير من الوقائع والأحداث .

والله الموفق والهادى سواء السبيل

محايل عسير

5/4/1419 هـ

تمهيد

تظل حيـــازة (الفهم الصـــحيح) الحل الأمثل ، والطريق الأقـــوم ، لفهم قضـــايا الحياة وإدراك مشكلاتها ووعي متناقضاتها في ظل الزخم الثقافي المتنـاثر ، والنتـاج المعــرفي المتكــاثر ، فحاجتنا لفهم حياتنا وإدراك معطياتها لا يقل أهمية عن حاجتنا إلى الفهم في المســـــائل الشـــــرعية والقضايا الدعوية.

ولعل مشكلة الفهم وتباين مراتبه وأدواته, كانت من أسباب الخلاف الفقهي الثر ، الذي كان من ثمراته ونتائجه كثرة المجلدات وضخامتها ، وتوسيع العقلية الإسلامية بالردود والحوار والمناظرات ، وتعميق دائرة الفهم والخيال والانفتاح وتميز الفِهام الوعاة من الحفاظ الجامدين ، وكان من ثمراته إعمال الفكر وإلهابه مما أفرز فضاءً فسيحاً من الاجتهاد العلمي ، الذي لا يخلو من نفائس ، وذخائر منقطعة النظير.

والذي نحن بصدده هنا أن كثيراً من الخلاف الواقع في هذه الأزمنة في

جوانب السياسة والاجتماع والتربية والإدارة والدعوة والاقتصاد ونحوها ، هو بسبب تدني درجة الفهم ، وانحسار كثير من أدواته ومتطلباته ، وخفاء العقليات الواعية ، والبصائر النابهة التي تضيء للناس ، حاملة مشاعل الهداية والحق والصواب.

فلم يعد سراً اختلاف المسلمين في كثير من جوانب الحياة المختلفة ، فضلاً عن الخلاف الكائن بيننا في مسائل العلم والدعوة ، وإذا كان الفقهاء المتميزون قديماً قد تأهلوا علمياً وفكرياً لخوض لجة الخلاف ، فكيف يخالف اليوم من ضعف فقهه ، وقصر عقله ، وضاق فكره وامتداده ، ولم يحز أسهل معاني التفكير السليم ومقومات العقلية الراشدة ؟ إن اصطناع قضية في السياسة والاقتصاد هذه الأيام من أعدائنا ، كافية لإشعال نار الخلاف والتنازع بين المسلمين فترى الصفحات قد سودت والمقالات قد قررت ، والمصنفات دونت للبيان والتقرير والإلجام ، وقد تخوض عشرات الأقلام وهي غير واعية وصفية المسألة ، وما

ذلك إلا بسبب ما تعيشه الأمة من أزمة في الفهم (حادة) وغياب للطرح الجاد والتفكير السليم ، هل عجزت الأمة إلى الآن عن سبر كبريات القضايا وتحليلها بردها إلى المؤسسات المختصة واللجان العلمية البارزة ؟!! أم هل لا يزال إعلامها وتعليمها عاجزين عن تمييز هويتها الثقافية وتعزيز مقدراتها ومنطلقاتها ؟ ! من المؤسف أن أنماط الضحالة والجهل والتخلف والتقليد لا تزال سدوداً منيعة ، تصعد لأزمة الفهم وتقوي من أركانها ودعائمها ، ومن المؤسف أيضاً أن البرامج التعليمية فى كثير من الدول الإسلامية والعربية لا تخرج مفكرين ومنظرين ، وإنما تخرج حفاظاً جامدين .

إن قضية كبرى (كالعولمة) لا تزال الأمة المسكينة تخوض في بحرها بين محسن ومسيء ، وصامت وشاك دون أن يكون هناك كلمة موحدة تعبر عن لسان الأمة المسلمة ، أو حتى الاجتماع في خطوط معينة ، هناك فريق يحذر من العولمة وأنها الطامة الثائرة التي سوف تسلب الأمة هويتها وتمحو دينها وتكسر مبادئها

وأصولها ، وآخر يقول ظاهرة عالمية ذات صلة وثيقة بنظام التجارة العالمي ولا ضرر ولا ضرار ، ومعتدل قرر محاسنها ومساوئها ودعا للعمل والمواجهة وترك الجدل والمنازعة.

إنني على ثقة تامة أن هذه القضية كغيرها من القضايا تظل تتناول في (محيط فكري معين) دون أن يكون هناك فهم لخلفية العولمة وتصور ذاتها وأهدافها وأبعادها ، فينصب كثير من الخلاف في دائرة أزمة الفهم التي كان من أسبابها ما يلي :

1. **ضعف الثقافة الشرعية :** التي لا تزال السمة البارزة على كثير من المفكرين والمثقفين الذين تناولوا هذه القضايا بعيداً عن العلم الشرعي ، ورصيد مهين من التأصيل العلمي ، ومكسب ضحل من الوعي الديني الذي يحفظ مسار المفكر ولا يشوش رؤيته ، ولا يعيق تقدمه ، ويجعله في خط مستقيم من المحافظة على الأصول والثوابت ، واحترام المبادئ والنصوص والفضائل.

2. **قلة البصيرة بالواقع :** فليس غريباً جهل كثيرين بمنشأ قضايا الساحة وصناعها ودوافع أصحابها وانتماءاتهم الدينية والعرقية ، وموقفهم من الإسلام وأهله ، وما تحمله أقلام الفكر والصحافة من تصعيد بالغ وإثارة عاتية ، وتقليد سمج.
3. **الجهل بمناهج التفكير السليم :** هل يملك المفكرون والدعاة إلى الآن المنهج السليم في التفكير ؟ ! هل الصورة واضحة في التعامل والحوار والتأمل والنقض على الآخرين ؟ ! الجواب أننا لا نزال نفتقر إلى أصول التفكير الصحيحة ، ودلائل العقلية المنضبطة ، ولا يشك عاقل بتقهقر هذا الجانب في حياة المسلمين المعاصرة وأن قضية (التفكير الصحيح) هي إشكالية كبرى ، تصطلي الأمة وبال غيابها وإهدارها ، والله المستعان.
4. **السطحية في التفكير :** ونعني بها الاعتماد على ظواهر الأشياء ، والالتفات لأشكالها دون التعمق

والنفاذ إلى ذواتها واستيعاب غاياتها وأبعادها وجذورها ، وذا ناتج عن قلة الزاد المعرفي ، والانغلاق وعدم التفكير ، والخضوع لمؤثرات الواقع.

5. **ضيق الأفق :** وهو فرع السطحية والجمود ، بحيث لا يتجاوز الإنسان مكانه ودائرته في التفكير ولا يستطيع إدراك ما بَعُد كشعوره بما قَرُب ، وقد يعسر عليه اجتياز الآفاق وتقدير الآثار ، وفهم العواقب والنتائج والمستلزمات.

6. **التقليد :** إذ إن من طبيعة التفكير الجدة والتغيير والزيادة ، وقد يجبن كثيرون عن إبراز ما عندهم من إفادات وإشارات وتحليلات ، خشية الخلاف أو السخرية والشذوذ ، مع أن المسألة أسهل مما يتوقع عند الدعاة الكملة ، لذا يضطر مفكرون ومبدعون إلى الانخناس والرضا بالتقليد والاستسلام لجميع أنماطه وأشكاله ، فيصبح يُصنع بالمؤثرات الثقافية والبيئية التي من دأبها تعميق الضحالة والركاكة ، وتعطيل الفكر وأدواته ،

مما يصعب على المرء مجاوزة المحيط التقليدي الذي هو فيه ، بل يخشى التسفيه والتكدير والتحطيم ، والله المستعان.

ولعل من أشد صور التغيير في الحياة هو الدور الذي يبذلـه المفكر ، لتصحيح المفاهيم ، وحل الإشكالات وإلغاء الأخطاء التي قد تكون محاطة بسياج من القداسة عريض ، يأبى تحليلها ونقدها فضلاً عن تغييرها وإزالتها.

وهذا النوع من جلاد الداعية وبلائه ، أن يصلح ما فسد فيه الناس، فيطهر الحياة من المعتقدات الفاسدة والعادات السقيمة والطرائق الذميمة ، وهذا يكلفه المزيد من الإصلاح والإنكار والتغيير ، شريطة التمكن الشرعي والظفر بالنصوص والشواهد وامتلاك فنون الحوار والجدل ، والتحلي بركائز الآداب والأخلاق ، والصبر على الجهلة ومجانبة السفهاء ، **والله الموفق**.

7. **التعصب :** وهو اللب الناشيء عن تقمص التقليد والولوج في روحه

ومادته ، إذ إن جبلة التقليد والمحاكاة كافية في صناعة (جيل متعصب) يعمى فهمه عن إدراك الحقائق ، وتقدير الأكفاء ، وتثمين الإنصاف ، وإنزال الناس منازلهم ، فيأبى بتعصبه نصاعة النص، وبراعة التحقيق ، وسطوع المنهج ، وفي الصعيد الإسلامي يبرز تعصبين :

الأول - قبلي : يمجد العراقة والأصالة ، ويصون تراث الآباء والأجداد ، للضمانة الأمنية التي تقوم بها القبيلة من رعاية وحفظ ومناصرة ومعاونة في الغالب.

الثاني – مذهبي : ينتصر لفكرة أو شخص أو طائفة، دون اتساع أو استدلال أو حوار وغير خاف شيوع هذا النوع في المسائل الفقهية والدعوية ، وما أورثه من مفاسد وخيمة على حساب تقليل النصوص وتعميق المثالب ، وتشويش النظرة الصحيحة.

ومن المؤسف أن (التربية الفقهيـة) لا تزال في عالمنا الإسـلامي ضـيقة الأفق ، رتيبة المنهج مع حرصـــــها على التأهيل العلمي ، لا تسعى في نشر أدب الطلب ، وفقه الخلاف ، وتعويد الطلبة على التجرد والنزاهة واحترام جلالة النص والبحث عن الحق ، وعدم الاغـترار والتقليد للآخـرين ، مما يعني (بناء عقلية فقهيـة) غـير معتدلة تضييق ذرعاً بالخلاف ، ولا تطيق الانتقاد ، ولا تقبل التغيير والانتقال.

ولم يعد كالمستغرب في حياتنا ، تدريس أستاذ جامعي مادة الفقه حسب مذهبه الذي نشأ عليه من صغره ، بل يقول بعضهم في عالم بلغ رتبة الاجتهاد (لقد أفسد متن المؤلف بكثرة تعليقاته وترجيحاته النائية عن المذهب) وما هذا النموذج إلا نوع من فشو ظاهرة التعصب التي لم تزل دياجره تأبى الأفول والانسلاخ.

وعلى الجانب الفقهي أيضاً ، أن ما من مذهب فقهي إلا ونبغ فيه أئمة محققون صنفوا فيه ودافعوا عنه ولهم قبول كابن الهمام عند الحنفية ، والنووي

في الشافعية وابن عبد البر في المالكية ، وابن تيمية في الحنابلة وليس هذا هو المشكلة.

لكن المشكلة تأثر التلامذة بهؤلاء ، وتعلقهم بكتبهم وأقاويلهم واختياراتهم ، فهي على التربية السائدة لا تقبل الحوار والمناقشة والاعتراض [فقولهم صواب لا يحتمل الخطأ ، وقول غيرهم خطأ لا يحتمل الصواب].

وما أكثر الشيوخ المتعصبة في هذا الزمان الذين يحاجون عن النووي وابن تيمية دون أن يكون هناك إثارة من علم أو تعمق في البحث ، متجاهلين بشرية الأئمة واحتمال الأخطاء ، وفقه الخلاف ، وأدب المجادلة ، وقد قال الإمام أحمد – رحمه الله – ونعم ما قال (لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا) "إعلام الموقعين 2/302".

وقال الشافعي رحمه الله : أجمع الناس على أن من استبانت له سنة النبي صلى

الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس.

وقد حكى أبو عمر ابن عبد البر – رحمه الله – إجماع العلماء في خروج المقلد من دائرة أهل العلم.

وفي الواقع العلمي والدعوي صور من التعصب للكتب والمدارس والمذاهب والأشخاص ترفض السماع والاقتناع والانتفاع ولا تملك الشجاعة الأدبية لفتح باب الحوار والنقاش الهادئ ، المستضيئ بالأدلة العلمية ، والبراهين العقلية ، ومن طوام تعصبها النقمة والثلب في الآخرين دون المحاورة أو الاستماع والوقوف على مقيد مكتوب ، بل تكتفي بالأقاويل والشائعات لتبني عليها أحكاماً قاطعات.

إن التعصب غشاوة متينة على عقل الإنسان تحول دون إضاءته واستنارته وهدايته مما هو سبب عارم يقضي على سلامة الفهم وصفائه وشفائه ، إن الفهم ليعوج ويسقم في ظل تعصب مقيت ، لا يعرف النور إلا من زاوية واحدة هي

أضيق الزوايا وأدناها وأنجسها. ولا غرو أن يعتري الفهم بلادة ، تؤثر الخطأ على الصواب ، وتفضل البالي على الجديد ، ولا تصغي للجيد والمفيد ، والتعصب الغالي يدفع الجهلة وغيرهم إلى سلوك منهج (العداء والمنابذة والمصادرة) لمن يشاركهم في حظ من العلم والدعوة يورث تمزيق الصف ، وتبديد الجهود وشحن الصدور مما هو خسارة فادحة تهد كيان
العمل الدعوي .

وليعلم أنه ليس لدعاة الإسلام وأنصاره مقصد ، سوى هداية الناس وإصلاحهم ونفعهم فلم يكلفوا أنفسهم التعب والنصب واقتحام المخاطر ، إلا لتعبيد الناس لربهم وخالقهم جل وعلا رجاء ما يؤملونه من ثواب باهر ونوال زاخر ، فكلمتهم أسمى كلمة ، ودعوتهم أجل دعوة (**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**) [فصلت : 33]. فإذا كان هذا هو الهدف السامي الذي تتشرف له النفوس ، وتطلبه الآمال ، لماذا تزرع الخلافات

وتبدو النزاعات في أمور ما ينبغي أن تكون محل تنافر وتنازع وتضاد.
والمساحة الدعوية مليئة بالأسماء والآراء والسبل والطرائق, والناس فيها مختلفو المشارب والعلوم والعقول ، والخلاف واقع حتماً في مسائل علمية أو طرائق دعوية وتربوية ، لكن من المؤسف أن يكون هذا الخلاف ذريعة للتشاحن والتباغض والتقاطع والتناثر ، فتؤلف المؤلفات ، وتسود المقالات ، وتقام المحاضرات بزعم نصر الحق ودحر الباطل ، وتنقية السبيل وليت أن تلك المسائل المختلف فيها كانت أبواب الاعتقاد لتصح لهم بعض دعواهم ، ولكنها في أمور غريبة ، لا يستحق صاحبها التقليل والتسفيه والمنابذة، بل بعضها مسائل دعوية اجتهادية لا يسوغ فيها الإنكار ، وغالبها يندرج تحت اختلاف التنوع الذي تنبع منه الرحمة والسعة والسماحة ، ولا يلزم فيه أحد باجتهاد والآخر أو طريقه ومسلكه ، فكلٌ على ثغرة ، وكل ينفع ويفيد في المجال الذي

يُهدَى ويهتدي إليه ، فالمقصد المحمود واحد ، ولو حصل الاختلاف.

بل ينبغي أن تكون غاية الدعوة إلى الله طريقاً إلى المحبة والتآلف والاجتماع ، فإن الدعوة وهي منزلة عظيمة تقلدها رسل الله تعالى ، لا يليق أن تكون ظرفاً لافتعال الخصومات، وطعن الشخصيات، وتأجيج النعرات ، بل الواجب التضامن والتآزر في ذا الزمان الذي عظم فيه الشر، وتكاثر أعداء الدعوة وخصومها ، ويؤسفنا أن نقول : إن بعض الممارسات في مجال الدعوة قد أراحت الأعداء كثيراً ، ومكنتهم من وضع النقط على الحروف في أنماط التهويل والتحسين والتصعيد والسخرية والانتقام ، ومن المؤسف أن بعض من صنف ، نقداً في المجالات الدعوية على غير تبصر – لم يُرَ له رسالة صغيرة في كشف أعداء الدعوة ومخططاتهم مع توافرهم وقربهم وتعاظمهم ، ولا يعرف بحمل راية الخصام والتحذير منهم في دروسه وكلماته مما يدل على أن مقصد التصنيف والنقد ليس موضوعياً نزيهاً .....والله المستعان.

أضف إلى خلو المكتوب من أدب الحوار ولوازم الردود بل قل (الإخوة الإسلامية), وتحولـه إلى (معركة عنيفة) قد حمى وطيسها بفوارس التشفي والتشهير والإسقاط ، جاعلاً من الحبة قبة ومن الهفوة خطيئة لا تغفر.

لذا فإني أنصح هؤلاء الإخوة المتبنين (نقد الدعوة) أن يتقوا الله تعالى في إخوانهم ، وأن يكون نقدهم موضوعياً مبنياً على السلامة والسداد ، وتحسين الظن دون تحامل أو إقحام ، وأن يشتغلوا بما ينفعهم وينفع المسلمين ، وليعلموا أنه لو أراد (المنتقدون) الرد عليهم لفعلوا ولأحسوا ، ولوقفوا على فيض كبير من الأخطاء والهفوات ، لكن مطامحهم النبيلة تحول دون الاشتغال بشيء من ذلك لأنها لا تخدم المصلحة الدعوية غالباً.

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

وقد طالعت رداً لبعض حمالي الردود ، ينقض فيه على داعية فصيح ، طبق ذكره

الآفاق ، ونفع الله به في مشارق الأرض ومغاربها ، فلم أره بما يصلح أن يكون مجالاً للنقد والاعتراض ، وإنما سار في مؤلفه **كالتالي** :

1. ضخم الزلات ، واتهم النيات ، التي سود بها تلك الصفحات.
2. ليس في كتابه رائحة للإنصاف والعدل ، بل تجاهل فيه كل خيرات ذلك الرجل وإفاداته.
3. خلوه من أدب الحوار وفنون المجادلة.
4. الإقحام والانتقام ، سمة بارزة فيما كتب ، حتى إنك لتجد نبز المردود عليه بكلمات نابية وبذيئة ، وتشبيهه بالكفار أحياناً ، فلم يعد الرد على المكتوب وإنما على الكاتب ، وهذه واضحة .
5. يوزع المكتوب مجاناً والله المستعان.

إن ظلم الناس وبخس حقوقهم ليس من مسلك أهل الخير والإنصاف الذين يقفون السنن ، ويبغون الإحقاق ويرمون

إلى النفع والإرشاد. وهل يحب هؤلاء أن يعاملوا من ينظر صنيعهم من الجوار والتحامل والإجحاف ؟ ! ستخرج في ذلك ألوان كثيرة من الانتقاد والاعتراض ، فليستقِلّوا أو ليستكثروا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

لهذا فإننا ننصح (معشر أهل الردود) بإصلاح النية في ذلك وأن يكون المرمى والنصح والبيان صدقاً وحقاً ، وبوعي كلام المخالف وفهمه والوقوف عليه، ولا يقول : بلغني ، أو سمعت ، ولو أمكن المناصحة مباشرةً قبل النشر والإذاعة فهو أفضل وأحسن ، مع مراعاة الآداب الشرعية والأخلاق المرعية ، والتحلي بالعدل ، والإنصاف ، ومجانبة البخس والإجحاف ، وتجاهل أقدار الناس وأفضالهم ، وليغتفر قلة زلاته باستفاضة خيره وحسناته ، وليدعُ له بالمغفرة والتوفيق والسداد ، عندها سيحلو الانتقاد، ويستطاب الكلام ، لأنه حقق أصول الردود
وآدابه ومكملاته.

وأكثر الردود والتصانيف والتعقبات تخلو من الموضوعية الصحيحة ، التي

تقتضي نشدان الحق والاجتماع والصفاء ، والتجرد وفهم كلام المخالف وعدم التعصب والاقتحام.

إن نوعاً من تلك الردود والتقييدات (**تحتويها أزمة الفهم**) التي زرعها التعصب والانحياز وقلة التأمل والاستعجال والرؤية النصفية والتصور المشوش.

إن إدراك وضعية الدعوة إلى الله

وضرورة نهوضها وتقدمها ، يفرض على العاملين الالتقاء في خطوط متوازية ، تحمل التضامن والجد والصبر ، وقلة الخلاف والنصح بالتي هي أحسن.

وكم من خلاف كـــان ســـببه ســـوء الفهم وقلة المعرفة بحـــــال المـــــــردود عليه وظروفه ودوافعــه. وهــذا معنـــاه ضــعف التصور الصحيح ، وقلة الوعي المطلوب.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين:

(ما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة).

ما أصدقها من كلمة وأروعه من بيان ! نعم لقد اعتُدي على كثيرين بسبب الأفهام القاصرة والتصورات السيئة وكم من إمام ونُسب إليه خلاف ما يقول ويعتقد ورموا بالتسفيه والتشنيع ، وكم من داعية ومصلح لم يفهم مراده جني عليه وصُنف تصانيف سمجة ، وعُلق عليه رايات عجيبة.

8. **الانغلاق :** وهو عبارة عن صياغة خاصة للعقلية الإنسانية وفق نمط معين قد انغلق بما فيه من معلومات وإجراءات وجهالات ومرئيات ، وحصل القناعة اليقينة باتجاهه وسيره في الحياة، فهو يتعلق بسد جميع منافذ الانفتاح ، ويحذر من التمازج الثقافي والمعرفي ، وقد يتعلق بالمغالاة في شخصية أو مذهبية أو حزبية أو تخصص علمي ، ولا ريب في تأثير هذا العامل الرئيسي في بناء عقلية معينة باتجاه مخصوص.

للانغلاق مثالبه ، والانفتاح ضوابطه . والمهم هنا عدم توافق الانغلاق مع معطيات الحياة المعاصرة المعقدة بل لابد من إحداث نقلة جديدة للتطور والتحسين والإفادة ، بالضوابط الشرعية والصحيحة .

والإشكال أن الانغلاق موجود الآن فى دائرة الإسلام التى لا يُدرى أولها خير أم آخرها ، بل فى الوسط العلمي والدعوى يُلاحظ صور من الانغلاق التى لا تفقه الحياة والتقدم والحضارة ، ولا تسعى للتعاون وتحقيق العدل والإنصاف .

وقد يكون من أسباب الانغلاق التعصب . وإن كان من أسبابه أيضاً الخوف ، وخشية الهزيمة وعدم القابلية للتغيير وقلة الوعي ، وضحالة الثقافة والتقعدد فى المؤخرة .

وهي كلها تجتمع وتتآزر ، مؤثرةً في المجالات العلمية الدعوية.

وبعد هذا لن يتشكك منصف في ضعف مقالات وأفكار وطروحات المنغلقين ، لأنها أشبه ما يكون بالرؤية السطحية

القاصرة ، وهي في معترك الثقافات ، وجودة المطارحات خواء لا قيمة له كالدخان الثائر تراهُ ولا تكاد تمسكه وتظفر به.

((وأخطر ما في الانغلاق هو تشكيل العقل الخيالي الذي يحمل الأفكار المخلوطة عن الواقع المعاش وعن الأفكار العالمية ، مما يجعله ينهار عند الاحتكاكات الجادة ، مع من يعيشون خارج دائرته وما ذلك إلا لأن الأحادية تصبح السمة المميزة لكل ما يتعلق بالمنغلقين ، وتنعكس سلبياتها على طرق تفكيرهم انعكاساً مكبراً ، مما يحرمها من التنوع والثراء ورؤية الكون على ما هو عليه)). [1]

ويحرمها أيضاً كثيراً من العلم والآداب والأخلاقيات ، ويوقعها في مضـار ومفاسد لا تحمد عقباها بســـبب قلة التجربـــــة, وتشوش الصورة, وضعف المعلومة ، وما كثير من الخلافات في الساحة الدعوية إلا بســـبب شـــعلة الانغلاق الملهبة لأزمة

---

[1] التفكير الموضوعي / د. عبد الكريم بكار – ص 228.

الفهم، والقاتلة لكثـير من آليـات البصـيرة والوعي والنباهة.

إن الانغلاق على ثقافة خاصة وبرمجة دعوية معينة ،يعني جعلها في أعلا درجات الكمال وعرضها كأصل للارتقـاء والإصـلاح ومصـــادرة التوجهـــات النبيلة الأخـــرى ، وعـدم الاعـتراف بجـدواها، بل ربما نعتها بالضـــعف والتخلف والمخالفـــة، ودعوتها كثيراً إلى منبع المدد وسلوك الجدد.

9. **القصـور العقلي :** تفـاوت النـاس في القدرات العقلية والمـدارك الفكرية وتباين نسب الفطنة والـذكاء لم تعد من المســـائل الخرافية ولا من القضـــايا الوهمية ، إذ إن النـــــاس من تكتنفهم الفروق الفردية ، ويتمايزون في التفوق والتوسط والتدني والإهمال.

وقديماً كان الاجتهـاد في الفقه الإسـلامي معركة فكرية تكشف معـــــــالم الحس والجمال وجودة الفهم والاستنباط والدقة في الفقه والتقرير ، ولم تكن تلك الخلافـات إلا نوعـاً من تفـاوت الفهـوم والدلالات والإيحاءات ، وكان الشـيوخ في

حلق العلم يتفرسـون النجابة والـذكاء في التلاميذ فيصـــنفونهم ويوجهـــونهم حسب الصفات والاستعدادات ، وقد رأينا ثمـرات هـذا الاصـطفاء لما وصل إلينا من نفـائس الكتب والمجلـدات الـتي لا يـزال النـاس عيالاً عليها، ويـدركون من خلالها الارتقـاء الفكـــري عند أولئك الرعيل ، وقد كــــان مجلس أبي حنيفة النعمـان ملتقىً فكريـاً نـــــادراً ، يجمع الصـــــفوة وفيهم الفقيه والمحدث والأصولي ، واللغـوي والنظـار ، والمفسر ، أشبه ما يكون بالبرلمان ، لكن أعضـــاءه من نوابغ الـــدهر كما يقـــول الطنطاوي.

والمتأمل لمشـاركات النـاس ومصـنفاتهم قـديماً وحـديثاً يـدرك أمـارات الفـروق والتفاوت واختلاف نسب القـوة والضـعف والجـودة والـرداءة والحسن والقبح ، وذا لصاحب التفكير المتمـيز ومن دونه يخـرج بانطباعـات معوجة وفتـاوى غـير سـديدة وقد لا يـــدرك هـــذا الصـــنف أخطـــاءهم وتصوراتهم ، وإن أدركـوا تعـذر الاعـتراف والتصريح بارتكاب الغلط لما في النفوس من حب الشـــرف والتفـــوق والبعد عن

الهزيمة والانخفـــاض لكن بالاحتكـــاك والإلقـــاء والعـــرض على أهل المعرفة والخـبرة ، تـبين للإنسـان قيمة ما يحمل وما يطرح ، والرزانة والصـمت هو أحسن ما يتحلى به هؤلاء ، وليسعوا إلى التطوير والتحسين بالوسائل المعروفة في ذلك.

*** ومن مظاهر أزمة الفهم عموماً :**

1. التصـــور القاصر عن واقع الحيـــاة والدعوة وقضايا الفكر والخلاف.
2. الجمـــود والســـطحية في الأفكـــار والطروحات والمشاركات.
3. إلقـــــاء الكلام على عواهنـــــه, والاســـتعجال في إطلاق الأحكـــام واتخاذ القرارات.
4. ترك الإجمـال في موضع التفصـيل ، والتفصيل موضع الإجمال.
5. فقدان النظرة التفصيلية في القضايا الشائكة والمعقدة.
6. إقصــاء الموضــوعية الصــحيحة في مســـائل العلم والـــدعوة والنقد والخلاف.

7. التقوقع حـــول الـــذات والمذهبية والحزبية والطائفية .
8. تقـديس الـذات وإهمـال وضـيفتها ونقـــــــــــــــــدها وكشف أحوالها.
9. الاغـــترار بالشـــائعات والظنـــون والأغلوطــات ، وجعلها غرضــاً للنقد والتحليل ، والتصنيف وبنـاء الأحكـام القاطعة.
10. إغفـــال التحـــري وعـــدم الدقة والتـــدقيق والاســـتيعاب للقضـــايا المطروحة.

* **أما على الصـــــــــعيد العلمي والدعوي فمن مظـاهر أزمة الفهم ما يلي :**

1)غياب أدب الخلاف ومستلزمات الحوار ، بل وغياب الحوار الجـاد أكـثر الأحـــوال ، إما جبنـــاً أو عجـــزاً أو لاعتقادهم عدم جدوى الحوار وفاعليته في تضـييق هـوة الخلاف ، وتقـريب وجهات النظر ودواعيها وملابساتها.

2) تعميق شأن المذهبية وإضفاء صور الحسن والجمـال عليهـا،وهو نـوع من التعصب والانغلاق

3) تضـــييق نطـــاق العقليـــات المتفقهة وحصرها في مسارات محدودة.

4) تفخيم الأســـــماء وتعظيمها أكـــــثر المناهج والأساليب الصحيحة.

5) إثـــراء الآراء والاجتهـــادات في ظل النصوص الساطعة والأخبار المتلاحمة.

6) خلو الممارسات الدعوية من المنهجية الصحيحة

7) كـثرة الخلافـات وتصـعيد ما صـغر من الأزمات والمشكلات.

8) قلة الإنصاف وعدم تحري العدل مع الآخرين.

9) تشــوش الأوليــات وعــدم فقه قــانون الموازنـــات والترابط بين الأشـــباه والنظائر.

10) الاغترار بالأشكال والمظاهر وعدم وعي الحقائق والمخابر.

11) الانصــياع لآراء واجتهــادات وتتريلها منازل النصوص والأخبار.

12) تغـــييب جـــانب التفكـــير والتأمل والجنـــوح كثـــيراً للتقليد والتبعية والاكتفـاء بالمرسـوم والمخطـوط ، ولو كــــانت آراء مرجوحة أو أدلة واهية.

13) الوصايا على مناهج العلم والدعوة ، ووضع إطــار مــرجعي في مســائل اجتهادية محضة.

* **وعلى الصعيد العلمي والـدعوى** تلتهب (قضـية النقـد) حـتى تصـير سـجلات شــتائم ، وتعقبــات غــير ســليمة ، وتجريحــات دامية ، وانتقلت من كونها نصـــــيحة مليحة إلى تعليقة قبيحة ، ضيعت الأصول والآداب والغايات.

فالنقد في هــــذين المجــــالين ليس موضوعياً ، ويعمد إلى التشـفي والانتقـام والإقحــام ، ويجعل من الصــغائر كبــائر ، وكثــــــيراً ما تتهم فيه النوايا ، فالداعية الباذل المجاهد ، قالوا يطمح في الظهـور

وضم الاتبـاع ، وصـاحب الـدروس العلمية باغي التصدر والقيادة.

والخطيب المصـــقاع ، كلامه أكـــثر من فعاله ، وهكذا جُعل النقد في كل صــغيرة وكبـيرة ، وجعلـوه من وسـيلة إصـلاح إلى وسيلة هدم وكفر وتدمير ، تقتل الطاقات ، وتهدر الجهـود وتشـيع التخـذيل والتثبيط والتشـــكيك ، ولا ريب أن النقد إذا صــــار بهــذه المثابة فإنه مــردود ، لأنه وضع في غير محله وسار على غير سبيله ودربه.

- والمشـــكلة في الوســـائل الدعوية الظـــاهرة ، أن هـــؤلاء الناقصـــين لا يلتفتون فيها إلا إلى مسـألة الظهـور وبغية التفـوق والانتصـار ، ويهملـون تأهل المتحـــدث واكتماله ، وثنـــاء الناس عليه ووميض صدقه وإخلاصه ، وحصـــول النفع بحديثه وكـــثرة الطلاب المحـــبين ، وأدبه وإنصـــافه وحرصه على الجماعة ، والالتقـــاء وغيرها من القـرائن والأحـوال الـتي تكشف الحقيقة ، وتعلن المضـــمر والمستور.

- لكن الأفهـــام الســـقيمة ما تنفك ، تجعل من شـيوع الخـيرات ظروفـاً للـدنايا والسـيئات ، عـوض القصـور والتقليد والمحاكـــاة والســـطحية، وحينئذ تكـون معـذورة لأنها لم تفقه الدعوة بعد، ولن تفقهها حتى تتجاور ظلالها وتعيش في غـــــير آفاقها ، وتصـــحح أفهامها وتجـــدد أســـاليبها وطرائقها ، والله الموفق ،،،
- وعلى الجـــانب الـــروحي والأخلاقي يســـاء فهم قضـــايا كثـــيرة ، ولعلي أمثل بما طـــرأ في زماننا هـــذا من حب العزلة وإيثارها على الخلطة والمشـاركة ، والـدعوة إلى الزهـادة والتقلل من الـــدنيا ، وجعل العبـــادة حكـــراً على أوراد معينة وعبـــادات مخصوصة ، وإهمـال جـوانب أخـرى من الطاعـات وطـرق الخـير ، في حين أن هـؤلاء يتجـاهلون دور النـبي صـلى الله عليه وسـلم في الـدعوة والإصـــلاح مع تمـــام زهـــده وبليغ تقشفه وكذلك أدوار الأئمة العـاملين والمصلحين النابهين.

ومن الجهل بمكان أن يعتقد كثــير من هـؤلاء أن زيـادة الإيمـان ، وصـقل الأرواح يرتكز على عبـــادة معينة كالزهد مثلاً ، أو قيـام الليل ، فيـدعون إلى مزيد التعمق ، وضده التوسع في هذين الأمرين مع عـدم الالتفـــات إلى دعـــوة النـــاس وفضـــيلة الإصلاح والتقليل من شأن العلم الشرعي ، وإغفــال دور النفقة والصــدقة ، وعــدم الشـــعور والتحسس بأخلاقيـــات مباركة ، ومرافق اجتماعية نافعة ، ومما لا شك فيه أن هذا كله سيؤول إلى مشكلة الفهم وضـــيق الأفق في فهم أبعـــاد العبـــادة ، ومسألة بناء الــروح والنفس. وصــنف آخر تتجاذبه طـــرق الخـــير من دعـــوة وعلم وعبـــادة وأخلاق ، ويريد المـــرتقى الأعلى فلا يســتطيع الجمع بينهن أو يضــيق لغلبة جانب على آخر.

وللصـــــــنف الأول وهي الطبقة الزاهـــدة المتشـــائمة من الحيـــاة ومفاتنها ونكباتها نقول :

أولاً – إن الزهد ليس الحل الأســـــــلم لمســألة الأمة وضـعفها وتقهقرها ، وهـــذا أجلى ما يكـــون، ليس عند

المثقفين فحسب بل حـــــتى عند نساء البادية.

ثانيــاً – إن الزهد ليس في قلة الطعــام واللبـاس بل هو تـرك كل شـيء لا ينفع في الآخــــرة وثقة القلب بما عند الله كما قـــــــرره ابن تيمية وغيره. الفتاوى (10/641) .

وكم من متزهد باللبس والكلام وليس من طلاب الآخـــرة ، وكم من متجمل بهي وقد امتلأ قلبه بمحبة الله ورضـــوانه ورجـــاء ما عند الله ، وفي الحديث (إن الله جميل يحب الجمال). رواه مسلم في صحيحه.

ثالثاً - ليس كل النفوس تستطيع الزهد وتستسـيغه ، إذ النـاس متفـاوتون في القدرات والطاقات والآمال والرغبـات ، فقد يكمن فلاح النفس وســــعادتها لإنسان في طلب العلم ، وآخر منافعه في الجهــاد ، وآخر في الــدعوة وآخر حسن بلائه في الإحســـــــان إلى المسـلمين وقضـاء حـوائجهم ، وليس معـــنى هـــذا التقليل من الفـــرائض

وحياطة النفس بـــــــالأوراد الخاصة والمحاســـبة الدائمة بل هـــذا قـــدر مشـتـرك لا يسـوغ لمسـلم الانفكـاك عنه.

رابعـــاً – إن الـــدعوة للزهد والعزلة في وقت كتم الدعوة واستضعافها لا تجوز شـــرعاً ، والقعـــود حين تضـــخم الشر واستفحاله ليس صلاحاً وعلاجاً للواقع ، بل هو منفذ لظهـــــــــــور الباطل واســـتعلائه ، قـــال تعـــالى (**وَاتَّقُـوا فِتْنَةً لاَّ تُصِـيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُـوا مِنكُمْ خَاصَّةً**). [الأنفال : 25]

خامساً – إن دعـــوة النـــاس ومخـــالطتهم بعد التأهل والـــتزود ، خـــير من التزهد والانعـــزال ، وصـــاحبه أطيب نفســـاً وأزكى أجـــراً ، وفي الحـــديث قـــال الرسول صلى الله عليه وسلم :

(**المــؤمن الــذي يخالط النــاس ويصـــــبر على أذاهم خـــــير من المــؤمن الــذي لا يخـــالطهم ولا يصبر على أذاهم**) رواه الترمذي.

سادساً – إن العزلة الشــرعية لا تحل إلا في ظرف مخصوص ، كـزمن الفسـاد الطـــــــاغي والفتن المدلهمة ، وقد وصف النـــبي ذلك صـــلى الله عليه وســـلم ذلك في حــــديث أبي أمية الشـــعباني قـــال : (أتيت أبا ثعلبة الحشـــــني فقلت يا أبا ثعلبة : كيف تقــول في هــذه الآية " يا أيها الــذين آمنــوا عليكم أنفســكم لا يضــركم من ضل إذا اهتــــــــــــــديتم " المائدة / 105).

قـال أما والله لقد سـألتَ عنها خبـيراً سـألتُ عنها رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فقـال "بل ائتمـروا وتنـاهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهـوي متبعـاً ودنيا مـؤثرة وإعجـاب كل ذي رأي برأيه فعليك – يعـــني بنفسك – ودع عنك العــوام فــإن من ورائكم أيــام الصــبر ، الصــبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله "رواه أبو داود وابن ماجة وهو حسن بشواهده .

ثم ليعلم أن قصر الزهد والانعــــــزال على شيء من القربـات, ليس من الخـير للعبـــد, ولا من الفلاح للأمـــة, إذا تطلبت المجاهدة قراع الكفـار والمنـافقين وبـذل الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكــر، بل قد يكون المـرء حينئذ في دائـرة الأوزار ، بعيداً عن الأجور والأنوار.

قال تعـالى : (**ولتكن منكم أمـةٌ يـدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحــــون**). (آل عمران 104)

- وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وقد غرّ إبليس أكثر الخلق بـأن حسن لهم القيـــام بنـــوع من الـــذكر والقراءة والصلاة والصـيام والزهد في الـــدنيا والانقطـــاع ، وعطلـــوا هـــذه العبوديات ، فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها ، وهؤلاء عند ورثة الأنبيـاء من أقل الناس ديناً ، فإن الـدين هو القيـام لله بما أمر به فتـــارك حقـــوق الله الـــتي تجب عليـــه، أســـوأ حـــالاً عند الله ورسـول من مـرتكب المعاصي ، فـإن تـــرك الأمر أعظم من ارتكـــاب النهي

في أكثر من ثلاثين وجهاً ذكرها شيخنا رحمه الله في بعض تصـانيفه) يعـني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

- والنظـرة الصـحيحة للزهد تعـني أنه ليس حائلاً عن الدعوة والإصـلاح ، فلا امتناع عن حصـول الزهد في الإنسـان وسـعيه في الـدعوة إلى الله واحتماله الأذى وألوان العناد والاستكبار.

(وَإِن تَصْـبِرُوا وَتَتَّقُـوا لاَ يَضُـرُّكُمْ كَيْـدُهُمْ شَيْئاً) آل عمران120

وهؤلاء يخطئون في فهم حقيقة الزهد ، ويفسرونه بلون واحد فحسب ، على أن أكـــثر عبـــارات الســـلف في الزهد تؤكد ارتباطه بالقلب لا بالجوارح .

فقد روى الترمذي وابن ماجة عن أبي هريـــرة عن **النـــبي صـــلى الله عليه وسلم قـال** : (الزهـادة في الـدنيا ليس بتحـريم الحلال ولا إضـاعة المـال ، ولكن الزهـــادة في الـــدنيا أن لا تكـــون بما في يديك أوثق بما في يد الله ، وأن تكون في ثـــوب المصـــيبة إذا أنت أصـــبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لـــك) قـــال الترمـــذي :

غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه. وعمـرو بن واقد منكر الحــديث ، قــال ابن رجب في جــــامع العلـــــوم والحكم 2/179 (الصحيح وقفـه). ونحو هـذا عن أحمد عن أبي مسلم الخولاني ، وشبهه عند ابن أبي الـدنيا عن طريق يوسف بن ميسـرة قـال أبو سليمان : (لا تشهد لأحد بالزهد ، فـإن الزهد
في القلب).

قال الحسن : (إن من ضـعف يقينك أن تكــون بما في يــدك أوثق منك بما في يد الله عز وجـل). وقـال ابن مسـعود : (إن أرجى ما أكون للـرزق إذا قـالوا ليس في البيت دقيـق). وقـال أحمد : (أسـرّ أيـامي إلى يوم أصبح وليس عندي شـيء). وقيل لأبي حازم الزاهد : ما مالك ؟ قــال : (لي مــــالان ، لا أخشى معهما : الفقر الثقة بالله واليأس بما في أيـدي النـاس) وقـال الفضــيل بن عيــاض : (أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل).

قـــــال ابن رجب رحمه الله : فمن حقق اليقين ، وثق بالله في أمــوره كلها ، ورضي بتـــــدبيره له ، وانقطع عن التعلق

بالمخلوقين رجـاء وخوفا ، ومنعه ذلك من طلب الــدنيا بالأســباب المكروهة ، ومن كـان كـذلك كـان زاهـداً في الـدنيا حقيقة وكــان من أعلى النــاس ، وإن لم يكن له شــيء من الـدنيا كما قـال عمـار : "كفى بــالموت واعظــاً وكفى بــاليقين غــنى ، وكفى بالعبادة شغلاً". ص 181.

وقــال ســفيان الثــوري : (الزهد في الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ، ولا بلبس العبــاء). وقــال : كــان من دعــائهم (اللهم زهدنا في الدنيا ، ووسع علينا منها، ولا تزوِها عنا ، فترغبنا فيها).

وقال الإمـام أحمد : (الزهد في الـدنيا قصر الأمل). فالصحيح أن الزهد ليس في تــرك فضــول المباحــات ، وإنما هو بهــذا الوصف المتقـدم على المختـار. قـال ابن رجب : وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن ، وهو يجمع معـــــاني الزهد وأقســــامه وأنواعه. فلا عتاب وتثريب على أخذ الدنيا من وجوهها المباحة لمن قــدر على ذلك ، ولا يخرج من الزهادة ، ولكن دلت الأخبار والآثــار على نقصــان درجاته يــوم القيامة بقدر توسعه في الدنيا.

روى ابن أبي الــدنيا بســند حسن عن ابن عمر قال : (لا يصيب عبد من الدنيا شــيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كــــــان عليه كريمـــا) روي مرفوعـــاً وموقوفـــا، والموقوف أصح.

وفي الزهد للإمــام أحمد : (لــولا أن تنقص حســــــناتي لخـــــالطتكم في لين عيشـكم ، ولكـني سـمعت الله عـير قوما فقـــال : (**أذهبتم طيبـــاتكم في الحياة الدنيا**). (الأحقاف: 20).

فالمحصل أن كثــيرين ممن يبحثــون عن معانٍ شــرعية بأفهـام قاصـرة ، ويريـدون حملَ النــاس على ذلــك, وفي هــذا من الجهل وقلة الفقه ما لا يخفى، وقد يعمد بعضـهم إلى لـون واحد من الخـير ويـدعو لإنتاجه وامتثاله ، أو يتمسك بأثر عن بعض العارفين والعبـاد، فيزينها منـاهج وطرائق في حياة المسلمين المعاصـرة وهـذا مما لا يخفى ولا يرتضى.

*** أما الصــنف الثـــاني الـــذين تتنـــازعهم طـــرق الخـــير وأنواعه فيقال لهم ما يلي :**

أولاً : لابد من تحقيق الائتلاف والتـــوازن تجــاه هـــذه الأبـــواب ، مبينـــاً المنهجية الصحيحة المتسمة بـالعلم والموضـوعية وحسن الـــترتيب والشـــمولية واجتنـــاب المكـدرات والصــوارف. لأن أكــثر هــذه الخـــيرات مرغوبة في حيـــاة المســـلم فالمحافظة على قــدر يســير منها ، خــير من الانغماس في بعضها مع إهمـال بقيتها لا سيماً وأن بعضها قد يترتب على بعض.

ثانيـــاً : اجتمـــاع الكمـــال والفضل في أشـخاص هـذا من نـادر الحيـاة ، إذ قلما يجمع الله الفضـائل في رجل ، ولا يتـأتى بأيسر الطـــــرق ، بل أمامه معوِقـــــات ومشاق، قـال ابن الجـوزي رحمه الله في صيد الخاطر (ويـنــدر من الخلق من يلهمه الله الكمـــال وطلب الأفضل والجمع بين العلــوم والأعمــال ومعــاملات القلــوب وتتفاوت أرباب هذا الحال).

ثالثــاً : مراعــاة وحقيقة النفس وأحوالها وصـــفاتها ، فليس كل النفـــوس تصـــلح للجهاد ولا تاقت له ، وليس كلها من يملك فهم قضايا الفكرة والثقافة والخـوض فيها ولو أرادها ، فلابد من معرفة فقه النفس

وتوجيهها من خلال ســـــــيرها واختيارها وسؤال الشيوخ وأهل الخبرة في ذلك.

رابعاً : العناية بالتخصص مع عدم إهمـال الجوانب الباقية ، هو الأنفع للأمة ، وهو ما يفرضه الواقع لأن طمـــوح الإنســـان في بعض الأحيـــــان وتقلباته قد تكـــــون من وساوس الشيطان حتى يحـرم المـرء من تحقيق الفضل وإدراك الغاية فلينتبه لذلك.

فمن علم نفعه وصــــــلاحيته في العلم الشـــرعي ، فلا يشـــتغل بما هو مفضـــول عنـــده في ذلك ، فقد يصـــرفه عن منـــاه الأسمى وقد يبدد جهــده ووقته ومعارفه ، وإن زعم الجمع وتحقيق الفضل.

وفي (الجــــوانب الأخلاقيـــــة) ، لم تفهم مســـألة حسن الخلق عند كثـــيرين ، ومن عرفها فسرها بنـوع منها ومن نقـدها اتهم النيات فيها ، واعتبر كرائم الأخلاق مصالح ومنافع ، لطغيان المنفعة في حياة النـاس وأهمل الـــــدفق الغزير من النصــــوص المرتبة عميق الأجور على معـالي الأخلاق وطيبها ومحاسنها ، (فالمتواضع) في حس

هـؤلاء ذليل والكـريم مسـرف ، والصـبور منهزم والشجاعة حماس وتهور ، والصـلة والتـــودد ضـــعف وطيبة زائـــدة وهكـــذا يفقـــدون (النظـــرة المعتدلـــة) في فهم الصفات الحسنة ، والأخلاق النبيلة، بسبب التخليط المعـــــرفي والاعوجـــاج العقلي والبلادة في الفهم والكلام يطـــول حـــول تتبع أحـــوال الأمة وممارســاتها ومآســيها جـــــراء أزمة الفهم ، لكن المطلـــــوب الاعتراف بذلك والسعي في إصلاح ذواتنا، وتغيــير إجراءاتنا ، والتحــرر من أســباب الضعف وبواعث التأزم والهوان والإجداب والخســار ، وليســعَ الجميع إلى المعالجة والمراجعة لاســيما الرمــوز والصــفوة ، بالدعوة إلى أعمال العقل وتوسـيع نطـاق التفكـــــير ، وتكـــــثيف الإطلاع وجمع المعلومـــــــــات ، ونبذ التقليد والتبعية والحـــرص على الانفتـــاح والمواكبة ، لأن الانغلاق والانعـــزال طريق للاضـــمحلال والإفلاس.

ولن تفلح الأمة ما دامت مصـــرة على متابعة أخطائها وتكرارها ، بل لابد من تجاوزها بـــــالتعلم والعمل والإصـــــلاح

والصيرورة تحت رايات البصيرة والصواب ، ولن يكون هـذا في ظل تقـديس الـذات وإبـــاء التعلم بل لابد من كشف الـــذات والارتقــاء إلى نقــدها نقــداً موضــوعياً ، والانطلاق بها إلى منـــارات العلم والتعلم واكتشــــاف الخــــبرات ، فحينها يصح لها التقدم والتطـور، وتحقق الفهامة الرائـدة والمستقبل المجيد.

والله الموفق والهادي للخيرات
وصلى الله وسلم على نبــيــنا محمد
وعلى آله وصحبه

الفهرس